

إشكالية الإحساس والإدراك

الأهداف:

1- **المعرفية** : إدراك مختلف المواقف المتعلقة بإدراك المكان والمعاني

2- **سلوكية** : التمييز بين مختلف الوظائف النفسية

المراجع :

1 - كتاب الفلسفة لطلاب البكالوريا

2- الموسوعة الفلسفية "روسيا"

3- كتاب الفلسفة " العراق "

المدة اللازمة : (04) ساعات نظري (03) سا تطبيقي

تصميم الدرس

تمهيد.

1 - الفرق بين الإحساس والإدراك.

2 - العوامل المساعدة على الإدراك

أ - العامل الموضوعي، ب - العوامل الذاتية

3- طبيعة الإدراك

أ - النظرية الذهنية، ب - النظرية الجشطالدية

ج - النظرية الظواهرية، د - النظرية العضوية

4 - إدراك المعاني والتجربة

5 - أسئلة التصحيح الذاتي

6 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

حياة الإنسان عبارة عن تفاعل مع كل ما يحيط به، وهذا يتطلب منه معرفة البيئة يهدف التكيف معها وحماية نفسه من مختلف الأخطار وحتى يتمكن الإنسان من معرفة البيئة، لا بدّ من الانتباه والتركيز إلى ما يهمّه فيها، وإدراك ذلك بالحواس، وهو ما جعلنا نقول أن الانتباه والإدراك الحسي هما الخطوة الأولى في إتصال الفرد بالبيئة والتكيف معها وهما أساس سائر العمليات العقلية التذكّرة التخيّل التعلّم والتفكير... إلخ وللأدراك على وجه الخصوص علاقة وثيقة بسلوك الإنسان فيه تتفاعل ونستجيب للبيئة كما هي لا كما في الواقع، ولكن كما ندركها؟ وإنّ فسلوكنا يتوقّف على كيفية الإدراك لما يحيط ببناء وهو ما يجعل إدراك الكبار يختلف عن إدراك الصغار (عدم خوف الأطفال من موضوع ما، قد تخاف منه نحن الكبار) إذن هناك علاقة بين الإدراك والسلوك، كما توجد أيضا صلة وثيقة بين الإدراك لما يرغب فيه الناس يؤدي إلى عدم التوافق الاجتماعي فعلاقة الإدراك بالانتباه هي التي تجعلنا نصدر أحكامنا على من يضطرب عندهم الإدراك الحسي (المرض العقلي)، لكن الإشكال الذي يطرح نفسه هو في : الفرق بين الإحساس والإدراك؟

1 - التمييز بين الإحساس والإدراك :

أنا جالس وراء مكتبي يدق الباب ماذا يحدث؟ تحدث اهتزازات في الجوّ ينقلها الأثير إلى أذني فتحدث أثرا على الأعصاب السمعية فننقله هذه الأعصاب إلى المراكز الدماغية، وهنا تتوقّف عملية الإحساس. إنّ شَمّ الروائح، واستماع الأصوات، وتذوق الطّعم، كلّها إحساسات، وليست إدراكات، لأنها لم تبلغ درجة المعرفة بعد، ولم يتم ربطها بخبرات ماضية، حينما يكلمك شخص ما بلغة لا تعرفها فأنت تحس بأصواته لكنك لا تدرك ما يقول. وعليه فالإحساس يشير فقط إلى مجرد تأثير التنبيهات على أعضاء الحس، أو مجرد ردّ فعل عضوب واع ناتج عن إثارة العضو الحسي، إنه ظاهرة أولية بسيطة.

أما الإدراك فهو واقعة نفسية مركبة ومعقدة، تتدخل فيها عوامل عديدة كالذاكرة، التخيل، الذكاء، والخبرات الماضية، والحكم العقلي ويتناول الأشياء موضوعاً في الزمان والمكان، بالإضافة إلى اعتماده على الحواس. إذن فالإدراك عملية عقلية تقوم بتأويل الإحساسات وتحويلها إلى معرفة واستغلال هذه المعرفة في عملية التأقلم والتكيف، إنه عقلي خالص ومنظم. يقول "لالاند Lalande" الإدراك هو الفعل المنظم الذي ينظم به الفرد إحساساته الحاضرة مباشرة، ويفسرها ويكملها بصورة وذكريات ويبعد عنها قدر الإمكان طابعها الإنفعالي أو الحركي مقابلاً نفسه بشيء يراه بصورة عفوية متميزاً عنه وواقعياً ومعروفاً لديه في الآونة الراهنة.

استنتاج :

إنّ الإحساس عملية فيزيولوجية أساساً، تجري على مستوى الأعصاب التي وقعت عليها المثيرات الخارجية. أما الإدراك فهو عملية ذهنية يتدخل فيها الحاضر بمعطياته الحسية والماضي بصوره وذكرياته وبهذين النوعين من التدخل تكتسب المعطيات الحسية معنى خارج الذات من حيث هي أشياء مقابلة للذات.

2 – العوامل المساعدة على الإدراك :

١ – العوامل الموضوعية :

وهي جملة من العوامل مستقلة عن الذات تجعل الأشياء مثيرة للانتباه وهذه بعضها كما حددها الجشطاليون :

أولاً : عامل التقارب :

الأشياء المتقاربة تتقدم للمدرك كأنها صيغة واحدة.

ثانياً : عامل التشابه :

المثيرات المتشابهة في اللون أو الشكل أو الحجم أو اتجاه الحركة، تدرك على أنها صيغ أو أشكال مستقلة لأنّ عامل التشابه يجعلها تستدعي بعضها البعض كما في الشكل التالي :

هنا نميل إلى إدراك الخطوط وحدها والنقاط وحدها.

ثالثا : عامل المصير المشترك X هذان الخطان يسهل إدراكهما كخطين منحنيين ويصعب إدراكهما كخطين منكسرين.

رابعا : عامل الصيغة الفضلي : -  شكل الدائرة أفضل من هذا المنحنى غير المغلق.

ب - العوامل الذاتية :

لا يتوقف الإدراك على العوامل الموضوعية ومدها كما زعم الجيشطالتيون بل تتدخل فيه الذات بدورها ومن العوامل الذاتية نجد :

أولا : الخبرة الماضية : وهي جمع ما لدى الإنسان من تجارب وخبرات في الموضوع المحسوس، فأنت حين ترى البخار يتصاعد من كأس القهوة تدرك أنها سخنة.

ثانيا : الحالة النفسية الراهنة : إن حالات الإنسان من انفعال أو هدوء أو غيرهما تؤثر في كيفية إدراكه فهناك فرق بين إدراك الشبعان وإدراك الجوعان للرجيف الواحد.

ثالثا : درجة الإنتباه : إن الانتباه شرط أساسي للإدراك، فالغافل أو النائم لا يدرك ما حوله كالمنتبه، وكلما كان الإدراك أكثر شدة وبقوة وشمولا كان أقرب إلى الصحة.

3 - طبيعة الإدراك :

أ - النظرية الذهنية :

يُميّز "ديكارت R . Descartes 21 آذار 1596" بين الأفكار التي هي أحوال نفسية موجودة في الذات وبين الأشياء التي هي امتداد لها، إن إدراك الشيء الممتد لا يكون إلا وفق أحكام تضيف صفات الشيء وكيفياته الحسية وعليه فإن الإدراك عملية عقلية وليست حسية

وقد ذهب "باركلي Berkeley 1685 - 1753 مثالي ذاتي" إلى القول أن "تقدير مسافة الأشياء البعيدة جدا ليس إحساسا بل هو إحساس عقلي يستند أساسا على التجربة" ويؤكد من جهة أخرى أن " الأكمه" في حالة استعادة البصر إثر عملية جراحية لا تتوفر على أية فكرة عن المسافة البصرية، فكل الأشياء البعيدة والقريبة بالنسبة إليه تبدو وكأنها موجودة في العين بل في الفكر، وقد أثبت ذلك الجراح الأنقليزي شيزلندن Sheselden فيما بعد.

نقد :

لقد أهملت هذه النظرية الجانب الموضوعي في عملية الإدراك، فالعالم ليس ما نفكر فيه، وإنما العالم هو هذا الذي نحياه ونعيشه ونُصَل به ونتفاعل معه، فنحن ندركه في الوقت الذي نحسه.

ب - النظرية الجشطالتيّة :

ترى هذه النظرية أن الإدراك والإحساس شيء واحد فهو استجابة كلية لما تغرضه علينا البيئة من سلوك اتجاهها، وعليه فإن عملية الإدراك لا تعطي الصور الذهنية للمعطيات الحسية عن طريق العقل، وإنما ندرك الموضوعات في المجال العقلي في صورة صيغ تفرض علينا الانتباه لها دون والنتيجة من كلّ هذا هي أن العالم الخارجي يوجد على شكل منظم وفق قوانين معيّنة، وعوامل خارجيّة موضوعيّة، كالتّي أشرنا إليها في السابق في فقرة العوامل المساعدة على الإدراك.

مناقشة :

أهملت هذه النظرية دور العوامل الذاتية وجعلت من عقل الإنسان مجرد جهاز استقبال سلبي، وإذا كانت الذات لا تتدخل في عملية الإدراك فكيف نفسّر اختلاف الناس في إدراك الشيء الواحد؟ وكيف نفسّر الخلل الذي يطرأ على الإدراك إذا أصيب الجهاز العصبي للإنسان بإصابة ما، ولماذا لا ندرك الأشياء التي لا تنتبه إليها؟ وكيف يمكن للإنسان أن يدرك شيئاً إذا لم يكن قادراً على الأقل على التمييز بين ذاته التي تدرك والموضوع المدرك.

ج - النظرية الظواهرية :

يعتقد أصحاب هذه النظرية أن الشعور هو الذي يبني المدركات وينظمها، ولذلك فهو يدعوننا إلى ضرورة الاكتفاء بوصف ما يظهر للشعور قصد الكشف عن المعطى دون أي اعتماد على فروض أو نظريات سابقة مثل فكرة الجوهر عند "ديكارت" وفكرة المكان عند "كانط" وغيرهما.

وهكذا فالإدراك عندهم هو امتلاك المعنى الداخلي للشيء المحسوس، قبل إصدار الحكم، إنه مفهوم عقلي كما يقول "ميرلويونتي" وتجربة حيوية، ولذلك نجد الإدراك دائماً غير تام بدون تجربة ولا يتم إلا بالانتباه ويكون مضطرباً في حالات الإنفعال.

مناقشة :

إنّ ردّ المعرفة إلى وظيفة الشّعور يصعب معه التميّيز بين الشّعور وموضوعاته
ما دام الشّعور هو دائما شعور بشيء

د - النظرية العضوية :

يمثل هذه النظرية كلّ من "ورنر Werner" و"وينر Wapner" ويؤكدان أنّ إدراك المكان
لا يتمّ إلاّ بتطافر العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية وقد اعتمدت على مسلّمات
وهي :

- التّطابق بين الذات المدركة وشدة المنبّه

- التّفاعل بين التّأثير الصّادر عن الموضوع والتّأثير الصّادر على الذات

يتّضح من هذه النظرية الطّابع التّكاملي في عملية الإدراك، فالعوامل الذاتية
والموضوعية أساسية في عملية الإدراك.

4 - إدراك المعاني والتّجربة :

كيف يكتسب الإنسان المعاني؟

المعروف أنّ عملية الاكتساب تبدأ منذ الطفولة الأولى مثل طاولة، راديو . . . إلخ
وكل كلمة من هذه الكلمات تحمل معنى شاملا ينطبق على الصنف أو النوع
فماهي خطوات التّعلّم واكتساب المعاني؟

أ - الإدراك الحسي :

يمكن الإنسان من إدراك الأشياء كأفراد وجزئيات.

ب - التميّيز والموازنة :

بهذه الطريقة يميز الإنسان مثلا بين أفراد القطط وأفراد الكلاب بعد إدراك الصّفات
المشتركة.

ج - التجريد :

وهي عملية عزل الصّفات المشتركة بين صنف من الأشياء وتركيز افتتاه حولها
دون غيرها.

د - التميّيز :

إنّ أيّة فكرة مجرّدة من عناصرها السابقة (البياض مكثلا) لا تنطبق فقط على هذه
العناصر، وإنما تنطبق على كلّ شيء سواء وقع تحت البصر أم لا، أو وجد في

الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فالتعميم يتجاوز التجربة الراهنة إلى التجربة الممكنة.

إذن فالتجريد والعميم هما قوام العقل النظري وهذا يعني أن العقل هو الذي ينشئ المفاهيم، ولكن هل يكفي العقل وحده؟ ومن أين يستمد هذه المفاهيم؟

- العقل والأشياء :

تجربة العقل مع الواقع توضح أن ردّ الفعل يختلف من شيء إلى آخر (الجوع - العطش) وتكرار العملية هو نوع من التجريد ولذلك قيل : " العادة نوع من التجريد"

- اللّغة :

اللّغة أداة تجريد وتصنيف تلعب دورا هاما في تكوّن المعاني للاحتفاظ بها وللاستفادة كل شيء، تصبّ فيها المعاني للاحتفاظ بها وللاستفادة منها. وهكذا يتّضح أن عوامل تكوين المعاني هي :

التجربة - العمل - اللّغة - المجتمع - العقل.

مصطلحات :

أ - التجريد :

هو ذلك الجانب أو النوع من الإدراك الذي يعزل ذهنيا خصائص الشيء أو العلاقات بين خصائصه عن الأشياء الأخرى، ويطلق تعبير التجريد على جميع مراحل العملية ونتائجها، وأحيانا يكون من الضروري إغفال بعض إمكانيات الإنسان الذاتية، وعلى هذا فإن التصورات والمقولات المختلفة (المادة - الحركة - القيمة) هي نتائج التجريد، ومن المحتم أن يرتبط الإدراك بعملية التجريد.

المرجع : الموسوعة الفلسفية.

ب - المعاني :

نوعان : سيكولوجية ومنطقية فما هو الفرق بينهما؟

1 - المعنى السيكولوجي : هو معنى ذاتي خاص بالشخص ذاته، يتأثر بصوره الحسية ومشاعره وذاكرياته.

2 - المعنى المنطقي : وهو المعنى الذي يحاول العلم تحديده وهو موضوعي يحدّد بطرق علمية، والمعنى يرتبط بطبيعة العلم ذاته، فالفيزياء تحدد معنى الحرارة، وعلم النفس يحدّد معنى الإحساس والإدراك... إلخ.

5 - أسئلة التصحيح الذاتي :

عد على المحور وحاول :

- 1 - التمييز بين الإحساس والإدراك.
- 2 - صلة الإدراك بمختلف الوظائف السيكولوجية.

6 - أجوبة التصحيح الذاتي :

1 - الإحساس : عملية نفسية تنقل مختلف التأثيرات التي تتلقاها الحواس من العالم الخارجي إلى المراكز العصبية.

الإدراك : عملية نفسية معقدة تساهم فيها مختلف الوظائف السيكولوجية كالذكر، التخيل، التصور الحكم العقلي.

يتضح أن الإحساس هو المعطي الأولي للإدراك وهو أداة للتمييز بين الإدراك والتذكر، والإدراك يمرّ بمراحل هي :

- المرحلة الفيزيائية - المرحلة الفيزيولوجية - المرحلة النفسية.

2 - للإدراك صلة وثيقة بالوظائف السيكولوجية وهي :

أ - علاقة بالذاكرة : الإدراك تعرّف، بمعنى أن الموضوع يدرك على ضوء التجارب السابقة، واستخدام هذه التجارب يتطلب تذكرها.

ب - علاقة بالتخيل : يميل الإنسان إلى إدراك الموضوع في صورته النهائية رغم الثغرات والنقائص وتسدّ هذه الثغرات يتم عن طريق التخيل.

ج - علاقته بالذكاء : يدرك الموضوع إمّا بالمقارنة أو بالرجوع على الماضي للكشف عن العلاقات بين الأجزاء، فكلما استطاع الإنسان الكشف عن هذه العلاقات كلما كان ذكيا.

الذاكرة

الأهداف:

معرفيّة : التعرف على طبيعة المدركات في الزمان
سلوكيّة : إكتساب القدرة على التحصيل ومعرفة أسباب النسيان.

المراجع :

- 1 - علم النفس جميل صليباً
- 2 - كتاب الفلسفة العراق
- 3 - كتاب الفلسفة لطلاب البكالوريا (الجزائر).

تصميم الدرس

تمهيد.

- 1 - ضبط مفهوم الذاكرة.
- 2 - تثبيت الذكريات
- 3 - نوعا التذكر.
 - أ - التذكر العفوي، ب - التذكر الإرادي.
- 4 - طبيعة التذكر.
 - أ - النظرية المادية، ب - النظرية النفسية، ج - النظرية الاجتماعية.
- 5 - طبيعة النسيان.
 - أ - نظرية الترك والصور، ب - نظرية الدوافع، ج - نظرية التداخل والتعطيل.
- 6 - أسئلة التصحيح الذاتي
- 7 - أجوبة التصحيح الذاتي.

تمهيد :

يمكننا أن نتصور مختلف الأشياء التي تحيط بنا، نتصور المدرسة التي درسنا فيها في السنوات الأولى من حياتنا، أو صديق لنا إلتقينا به آخر مرة. هذه الحالات التي تحدث دون أن تخضع لأي مؤثر حسي تسمى "صور".

يمكنك أن تتصور درسا أو محاضرة حضرتها في السابق، ومعنى ذلك أن لكل إدراك صورة، فالتصور على هذا الأساس طريقة يستعيد من خلالها الإنسان مختلف الأشياء، وهذا ما يجعله يختلف من افحساس والإدراك، فما يحس ويدرك يكون حاضرا يؤثر في الإنسان، وما يتذكر يكون غالبا.

نستنتج إذن أن الإدراك ليس مجرد تصور فوتوغرافي، وإنما عملية عقلية، أما التذكر فيستمد عناصره من الواقع الذي سبقته معرفته، ويلعب العقل في ذلك دور البناء والتركيب، إذن (الإدراك والتذكر) يعتمد أن الواقع، لكنهما يختلفان في الخصائص التالية :

1 - في أغلب الأحيان تكون الصورة أضعف في التذكر منها الإدراك، لأن وجود الشيء أمامنا يقرض نفسه باللون، الشكل أما في عملية التذكر فالصورة ضعيفة لغياب عناصر الواقع مما يجعل ذلك غامضا.

2 - نادرا ما تكون الصورة المتذكّرة أقوى من الشيء المدرك بسبب العواطف والإنفعالات والأشواق (وخاصة حُبنا لشيء ما) مما يعني أن الذاكرة ليست مجرد جهاز تسجيل، وإنما أداة نفسية تؤثر في الواقع بإضافة عناصر جديدة.

التمييز بين التذكر، الاسترجاع، التعرف

* **التذكر** : هو إحياء ما سبق تعلّمه والإحتفاظ به.

* **الاسترجاع** : عملية استحضار الماضي في صور مختلفة ألفاظ، حركات.... استرجاع قصيدة شعرية أو فكرية.

* **التعرف** : - هو شعور الفرد أن ما يدركه الآن هو جزء من الخبرات السابقة، وهو معروف لديه أو مألوف، وليس غريبا عنه وهذا يعني أن عملية التذكر تمرّ بمراحل هي :

التّحصيل - الاسترجاع - التعرف - أو تحديد الذكريات.

1 - ضبط مفهوم الذاكرة :

يتضح من التمهيد السابق أن الإنسان إذا واجهته مشكلة ما فإنه لا يعتمد في مواجهته لها على المعطيات الحسية الراهنة، ولا على المعطيات التي تثيرها فيه المشكلة، بل يستعين إلى جانب هذه العوامل بخبراته السابقة، فالإنسان لا يقتصر في سلوكه على الحاضر وحده كما هو الحال عند الحيوان، بل هو يتصرف بمساعدة الماضي، ويتخيل المستقبل ولذلك قيل : "الإنسان كائن ذو أبعاد" إن هذه العملية التي يعود فيها الإنسان إلى ماضيه للاستعانة به في مواجهة الموقف الحاضر الراهن هي التي تسمى تذكّر. فالتذكر إذن عملية إحياء حالات شعورية واستجابات ماضية مع العلم بأنها من حياتنا الماضية. يقول "لألاند 1867 - 1963" في تعريفه للذاكرة : الذاكرة وظيفة نفسية تتمثل في استعادة حالة شعورية ماضية، مع تعرف الذات لها من حيث هي كذلك.

2 - تثبيت الذاكرة :

إن ما نحتفظ به من ذكريات يعود أساسا إلى شروط موضوعية وأخرى ذاتية، من الشروط الموضوعية نذكر التكرار. إن التكرار موزع أفضل من التثبيت من التكرار المستمر. المقاطع ذات المعنى أفضل من التي لا معنى لها، الإرتفاع والوزن، والتسميع الذاتي عوامل تساعد على التثبيت أكثر. ومن الشروط الذاتية نذكر : ميول الشخص، وعواطفه، والمدح، والذم، ودرجة الذكاء، والخبرة، والنشاط، والانتباه..... كلّها عوامل تساعد على تثبيت الذكريات في الذاكرة.

3 - نوعا التذكّر :

التذكر نوعان :

أ – التذكر العفوي :

وهو التذكر الذي يتم دون جهد عقلي فكري، وهو ما يلاحظ في مختلف الأفعال التي نقوم بها بدافع العادة، مما يجعل هذا التذكر أسهل في الاستعادة كنجاحك في البكالوريا مثلاً، أو حادثة زواجك . . .

وهذا التذكر أقرب إلى تداعي الأفكار منه إلى التذكر، لأنه يحدث دون بذل جهد عقلي فكري، وهو يرتبط بمجموعة من القوانين كالتكرار الذي يسهل تذكر عمل ما، وقانون "الجدة" فالحوادث التي تمر بك تكون أوقع في الذاكرة، وقانون "الشدة" بمعنى أن الحوادث العنيفة يكون تأثيرها على النفس أشد، مما يجعلها لا تمحى بسهولة.

ب – التذكر الإرادي :

وهو نوع يرتبط بالنشاط والجهد العقلي، حيث يلجأ الإنسان عن قصد إلى الماضي ليتذكر خبرات ومهارات ماضية، ومن الأمثلة على ذلك : أرى شخصاً يلوح لي فأنظر إليه وأتعرف نوعاً ما على ملامح وجهه، وأشعر أن صوته مألوفاً لدي، ورغم ذلك أعجز عن تذكر اسمه، وفي هذه الحالة أعود إلى ذاكرتي، فتتسارع الصور في ساحة الشعور ولكنني أبعدها لأنها لا تتطابق معه، أعيد التركيز والانتباه بشدة محاولاً استعادة الزمان والمكان الذي صادفته فيهما، وفجأة تطفو الصورة من اللاشعور إلى الشعور فأتعرّف على الشخص.

النتيجة :

[التذكر عملية عقلية إرادية تستلزم الشعور والانتباه والتأويل والانتقاء والتمييز والحكم].

4 – طبيعة التذكر :

يثبت الإنسان الحوادث في ذاكرته بعوامل ذاتية وموضوعية ويستعيدّها وقت الحاجة إليها، بصورة عفوية أو إرادية، ولكن ما طبيعة هذه الاستعادة؟ هل هذه الاستعادة عملية فيزيولوجية أم شعورية؟ هذه الإشكالية محلّ خلاف بين الفلاسفة وعلماء النفس وهو ما نتعرف عليه من خلال هذه الآراء النظرية.

أ - النظرية المادية :

يذهب الماديون وعلى رأسهم "ريبو" أحد زعماء هذه النظرية أن الذكريات مخزونة في خلايا المخ، لأن الإدراك يترك أثرا في الخلايا وهذه الذكريات تسترجع عندما تحدث إدراكات جديدة مماثلة لها، وهذا يعني أن الذكريات هي التي توقف الذكريات القديمة أما عملية التثبيت فهي تتم عن طريق التكرار.

وعلى هذا الأساس فالذاكرة في رأي "ريبو" ما هي إلا نشاط بيولوجي، إذ يقول "الذاكرة ظاهرة حيوية بالذات، نفسية بالعرض" وقد استند في ذلك على التجربة التي تثبت أن لاختلال الهضم ودوران الدم والتنفس تأثير على التذكر، والتجارب التي أجريت على أمراض الذاكرة، فهي تبين أن النسيان يبدأ بالذكريات القريبة ثم البعيدة، ثم الأبعد ومن الذكريات العقلية إلى الذكريات الحركية، ويقدم أدلة أخرى يحاول من خلالها إثبات أن للذكريات مناطق بالمخ. إذا كانت الذكريات نزول من مناطق معينة بالدماغ، فإن هذه المناطق هي التي تحمل هذه الذكريات، فالحبسة الحركية مصاحبة للأصابة التي تمس منطقة "بروكا" التي تمثل قاعدة التلفيف الثالث من الجهة الشمالية. وهذا معناه أن هناك مناطق خاصة بالذكريات الحركية، وأخرى بالذكريات السمعية ... وهكذا تصبح الذاكرة مجرد خاصية لدى الأنسجة تسجل بها الانطباعات وتحتفظ بها.

مناقشة :

تعرضت هذه النظرية لانتقادات "برغسون" لأنها تخلط بين الظواهر النفسية والظواهر الفيزيولوجية وتعتبر الفكر مجرد وظيفة للدماغ موضحا أن المادة عاجزة عن تفسير الذاكرة إذ يقول : "لوصح أن تكون الذكرى شيئا ما محتفظة في الدماغ، لما أمكنني أن أحتفظ لشيء من الأشياء بذكرى واحدة بل بالوف الذكريات، ذلك أن الشيء مهما بدا بسيطا وثابتا فإن أعراضه تتغير بتغير النظرة إليه، هذا إذا خلق الأمر بالشيء البسيط، فمابلك إذا كان إنسانا يتغير من حيث الهيئة والجسم والملابس".

أما من حيث فقدان الذكريات فهو يقول : "إذا كان فقدان الذكريات ينتج عن خلل في الخلايا الدماغية فكيف نفسر عودة بعض الذكريات؟ خاصة بعد حدوث تنبيه قوي للمريض بفقدان الذاكرة وهذا يعني أن الإنسان إذا أصيب بمرض "الأفازيا" فالذكريات تبقى موجودة، ولكن الإنسان يصبح عاجزا عن استحضارها وقت الحاجة.

ب - النظرية النفسية : يستنتج من مناقشة الماديين أن "برغسون" بين أن الذاكرة ليست ظاهرة بيولوجية، وإنما هي ظاهرة نفسية روحية، فالروح عنده هي ديمومة وذاكرة وحتى يستطيع برغسون الخروج من هذا المأزوق ميّز بين نوعين من الذاكرة : * ذاكرة هي عبارة عن صورة حركات مخزونة في الجسد تكتسب بالتكرار، ترتبط بالجهاز العصبي تنصب على الأفعال وتقوم بوظيفة استعادة الماضي إلى الحاضر بطريقة آلية ميكانيكية مثل حفظ قطعة شعر عن ظهر قلب.

ب - ذاكرة عبارة عن صورة ذكريات نفسية: مخضة مستقلة عن الدماغ، وهي الذاكرة التي تعيد الماضي باعتباره شيء خالص.

النتيجة :

[الأولى تعيد الماضي إعادة ترددية والثانية تتصور الماضي، ثم أن الأولى مركزها الجسم وأداتها المخ، والثانية مستقلة عن الجسد ولكنها تتحقق بالفعل عن طريقه. اما الأمراض التي تصيب الذاكرة فهي لا تعود إلى فكرة الإلتلاف، وإنما تعود إلى اضطرابات تصيب الأجهزة المحركة.

وعليه فالذاكرة في نظر (برغسون) ليست مجرد وظيفة من وظائف الدماغ، وإنما عملية نفسية يشترك فيها الجسم، فالنفس هي التي تتعرّف، والجسم يشترك فيها الجسم، فالنفس هي التي تتعرّف والجسم هو الذي يستدعي، وهو الذي يسمى أيضا. مناقشة :

تتميز النظرية النفسية بانتقادها للنظرية المادية، ولكن "برغسون" لم يحلّ مشكلة الذاكرة حين استبدل الآثار البيولوجية بالآثار النفسية، ولم يوضح فقط أين تحفظ الذكريات لأن فرضية الأشعور لم توضح ذلك، ولم تبدد جميع الظلمات، فهل هذا يعني أن الأشعور وعاء غير مقيّد بالزمان والمكان؟ أم أن الأشعور قرينة لا تمتلئ، وقد دلت التجارب على أن للذاكرة أساسا عضوية وأساسا عضويا وأساسا اجتماعيا.

ج - النظرية الاجتماعية :

يرى علماء الاجتماع وعلى رأسهم "هالناكس" أن الذكريات ليست شخصية، فهي تعود إلى جماعة معيّنة، وإلى فترة محدّدة، فالغير هو الذي يدفعنا إلى التذكر الذي يرتبط بمفاهيم وعادات وقيم المجتمع، وعليه لا تكون الذكريات استعادة للماضي، وإنما لتجديد بنائه بوسائل يستمدّها من الحياة الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الذاكرة سلوك يقوم الإنسان بتنفيذه في ظروف اجتماعية معيّنة، وأنه لو كان الإنسان يعيش منعزلا عن الجماعة لما احتاج إلى التذكر، لأن الجماعة هي التي تدفعه لنقل ملاحظاته وخبراته للإخريين.

مناقشة :

ليس هناك ما يؤيد أدلة هذه النظرية، عن كون الفرد حين يتذكر، فإنه لا يتذكر ماضيه الخاص، وإنما يتذكر الماضي الجماعي رغم أن الذاكرة تنتظم داخل الأطر الاجتماعية، فقد أتذكر حوادث ذات قيمة بالنسبة لي، لأنها تجربة فريدة دون أن يطلب أحد مني تذكرها.

النتيجة :

لا يمكن إعادة الذاكرة إلى عامل واحد فقط، لأن عوامل عديدة تساهم في تركيبها، إضافة إلى تعدد وظائفها، ومن هذه العوامل :

أ - **العوامل العضوية** : تتطلب الذاكرة جهازا عضويا سليما، فالمريض والمسّن يصعب عليهما تثبيت الذكريات.

ب - **العوامل الفردية** : يختلف الأفراد في الاهتمامات والميول، وعليه فإن الفرد يسهل عليه استرجاع ما يميل إليه.

ج - **العامل العقلي** : وهو أهمّ العوامل، فما يؤخذ عن طريق الفهم والتحليل يثبت في الذاكرة ويسهل استرجاعه.

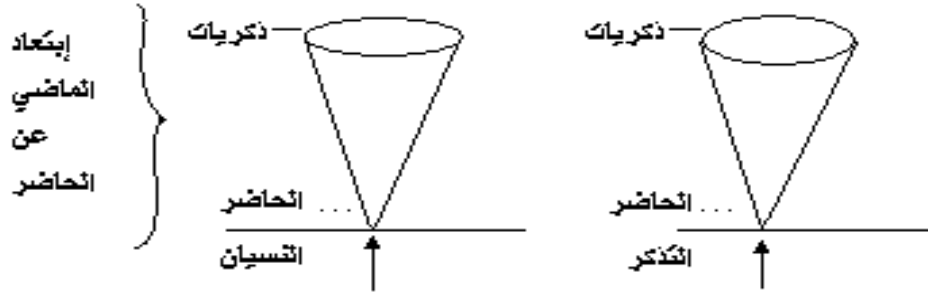
د - **العامل الاجتماعي** : الفرد يرتب ذكرياته الموروثة عن المجتمع، حسب طبيعة البيئة التي ينتمي إليها.

5 - طبيعة النسيان :

أحيانا نجد صعوبة كبيرة في استرجاع مهارات وخبرات ومعارف نحتاجها، وقد نعجز تماما، وهذا يعني أن الذاكرة أصيبت بمرض يسمّى "النسيان" فما طبيعة النسيان؟

يفسر "ريبو" النسيان تفسيراً مادياً، فالنسيان في رأيه مجرد فقدان الآثار التي تحدثها وتتركها الذكريات على القشرة الدماغية، لكن التجارب التي أجريت أكدت أن النسيان ليس له علاقة طردية بالزمن، وغنما له علاقة بـ "لوغاريتم" الزمن، وهذا ما يناقض ما ذهب إليه "ريبو" الذي يؤكد أن النسيان يتناول الذكريات القريبة قبل البعيدة.

أما "برغسون" فيقول إننا لا نفقد الماضي وإنما نفقد إمكانية استرجاعه وهذا بسبب فقدان الصلة به، وقد شبّه الماضي بمخروط رأسه إلى الأسفل



لكن مدرسة التحليل النفسي ترى أنّ النسيان هو عجز عن استحضار الماضي، وهذا ما يجعلنا نلتقي مع "برغسون" ولكن "فرويد" يعطي تفسيراً آخر إذ يؤكد أنّ الإنسان لا ينسى الحوادث القاسية المؤلمة التي لا يريد تذكرها، يكتبها في اللاشعور ويمنعها الأنا الأعلى من الخروج لأسباب خاصّة، ولكنّها لا تمحى تماماً، حيث تؤثر في السلوك بطريقة لا شعورية وبأشكال متعددة (الأحلام فلتات اللسان....) ورغم ذلك يبقى الإشكال قائماً. ما هي أسباب النسيان؟ ما طبيعته؟

أ - **نظرية الترك والضمور** : ترى أن عدم استعمال الذكريات والخبرات والمهارات السابقة يؤدي إلى ضعفها وضمورها، وهذا يعني أنه كلما طال عدم استعمال ما تعلّمه الإنسان زادت درجة النسيان.

لكن هذا الطرح قد يفسر بعض حالات النسيان الناتجة عن بعض الأمراض ولكنّها لا تفسّر جميع الحالات، لأنّ النسيان في نظرها أساسه عضوي.

ب - **نظرية الدوافع** : تربط ظاهرة النسيان بعدم القدرة على تذكر الآلام والمواقف المؤلمة، فالنسيان نزعة طبيعية في الفرد، ومن العوامل الأساسية في تثبيت الذكريات ونسيانها: الثواب ... العقاب إلخ.

ج - **نظرية التداخل والتعطيل** : ترى أنّ النسيان يعود إلى تداخل مختلف النشاطات التي يقوم بها الإنسان، وهذا ما يؤدي إلى ضم حلال وطمس بعضها، فالإنسان الذي ينتهي من حفظ شيء ما ويشعر مباشرة في حفظ شيء آخر (أرقام، نص مسرحي،...) ينسى ما حفظه أكثر مما لو استراح فترة زمنية معينة

النتيجة :

لا يمكن إرجاع النسيان إلى عامل واحد فقط، وإنما يعود إلى عوامل متعدّدة تساهم في حدوث ظاهر للنسيان، وما يجب ألاّ نخفله هنا هو أنّ النسيان ليس مرضاً، ولا ظاهرة سلبية، وإنما ضرب من الاستجابة كالوعي، فالنسيان عملية ديناميكية تتأثر بالعوامل النفسية.

6 - أسئلة التصحيح الذاتي :

1 - كيف يتمّ تحصيل الذكريات واسترجاعها؟

2 - ما الفرق بين الإسترجاع والتعرف؟

7 - أجوبة التصحيح الذاتي :

1 - عملية التحصيل :

تتوقف على شروط التثبيت في حين ان الاسترجاع يتوقف على التعرف على هذه الذكريات، إضافة إلى الشعور بديمومة الزمن وسيرورته، الذي يساعد الإنسان في عملية التذكر، حتى يتمكن من خلال ذلك مواجهة الحاضر والاتجاه نحو المستقبل، والتذكر يتم عبر مراحل يمكن اختصارها فيما يلي :

أ - التحصيل : ويتضمن ثلاث شروط هي :

- شروط تتعلق بالخبرة ذاتها.

- شروط فيزيولوجية مادية.

- شروط سيكولوجية، ومنها العواطف الميول - الاهتمامات.

ب - مرحلة الاسترجاع : وهي توجيه الانتباه على الماضي بحثا عما يريد من ذكريات، وهو نوعان استرجاع تلقائي، واسترجاع إرادي.

ج - التعرف على الذكريات : فاسترجاع الذكرى لا يتم إلا بالتعرف عليها، وتحديد زمانها ومكانها.

النتيجة :

للتذكر عوامل ذاتية وأخرى موضوعية وهو فعل ونشاط يهدف إلى التكيف مع الواقع.

2 - الإنسان يسترجع الحوادث التي يرغب فيها، والتي احتفظ بها من قبل، فهل يعني ذلك أن هناك فرق بين الاسترجاع والتعرف؟

- تحديد مفهوم الاسترجاع : وهو قيام الفرد باسترجاع المعلومات والصّور والأفكار التي لها علاقة بما يريد (الطالب في الامتحان مثلا). وهذا يعني أن الاسترجاع لا يتم إلا بعد التحصيل والاكتساب والاسترجاع أشبه بالعلاة لأنه آلي وفقا لقانون تسلسل الحوادث وتكرارها.

- أما التعرف فالفلاسفة يعتقدون أنه ظاهرة نفسية، وهو يعني إدراك الصّور والأفكار كما انطبعت أول مرة، وحتى يكون التعرف كاملا لا بدّ من تحديد الزمان والمكان بوضوح.

النتيجة :

الاسترجاع يمثل علاقة التذكر بالعادة والتعرف يمثل علاقة التذكر بالإدراك.